المصدر: الاهرام
التاريخ: ١٢ فبراير ١٩٢٤

بين مصر والسودان

لهم سياستهم فهل لنا سياستنا

لقد بسطنا شيئا من سياسة الانكليز في السودان وفي تحكمهم بالري او بالاحرى لنيل الذي قال فيه هيرودس « ان الله خلق العالم كله واما النيل فانه خلق مصر » فما هي سياستنا التي نقابل بها سياستهم بل كيف يجب ان تكون سياستنا التي تنجح مقاصدنا وتجعلنا وتجعل اولادنا واولادهم احراراً لا يخشون صراً ولا يخافون مستقبلا مكفهراً ؟

انا اذا ما تساءلنا هذا السؤال ابتخلص الينا الجواب عليه مما يطول به بنا مقام الميول دون ان نقاومها ودون ان نرجع الاسباب الى مواجعها واصولها لان النفس هي التي تملي وما تليه النفس لا يحصى ولا يزل

ففي سنة ١٨٨٦ فتح البرلمان المصري وعلى كرسيه ٢٠ نائباً عن بلاد السودان فعلى تلك الكراسي والمقاعد امتزجت مصر بالسودان امتزاجاً كلياً تاماً ولم يكن في قاعة المجلس نائب سوداني واخر مصري بل كان الجميع واحداً وكان النائب المصري نائباً عن السودان ومصر وكان النائب السوداني نائبا عن مصر والسودان فكان البلدان واحداً واذا لم يكن البلدان واحداً ومنافعهما مشتركة متلاحمة مترابطة كأنها منفعة واحدة عم عن ذلك مما تضارب المنافع ومتى تضاربت المنافع واختلفت وقع الشقاق ومتى وقع الشقاق تلاه الخصام وهذا ما رمى اليه الانكليز بفصل السودان عن مصر حتى يطلوا الحكم بينهما واجتلاب السلطة على القطرين معاً وهذا ما يجب ان نتفادى عنه في التفادي حتى تمنع النفور بين الاخوين يفرق منافعهما وحتى تمنع تسلط الاجنبي عليهما مما منعة الدفاع عن مصلحة هذا اباً ومصلحة ذاك أو بنة أخرى

ومن المضحك والعجيب في السياسة وسياسة بعد النظر والنظر الى الغد ما يقولونه ويرددونه عن « ضيانة حياة النيل بالبحيرات » فمن هو الضامن ذلك ما هي وما قيمتها من الناحية والى كم تدوم وهل يمكن وجودها ذاتها سبباً للخلاف والخصام واذا هي نفذت في عشرة اعوام او عشرين او اربعين او خمسين او في ما هو فوق ذلك هل تنفذ الى الابد وعن الان نحو ١٤ مليوناً وبعد ربع قرن — وربع قرن بل قرن كامل في حياة الامم لا يستحق الذكر — يبلغ عدد المصريين على ٢٠ مليوناً ويربو عدد السودانيين عن ١٢ مليوناً فاي شعب المصريون مرزقا وهم الان يزدحمون في ارضهم ازدحاماً شديداً حتى ان الكيلو متر المربع في النوفية يسكنه ٦٥٠ شخصاً وهؤلاء السكان المزدحمون في وادي النيل ازدحاما شديداً جداً كانوا يكتفون بالامس القريب بالضروريات القليلة المزهدة وهم لا تكفيهم الان الكماليات وعداً يزدادون مدنية وحضارة وعلماً وقد نص دستورهم على التعليم الاجباري فتزداد حاجتهم وتقل ثروتهم وتضيق ارضهم فالى اين يكون المصير . الى الصحراء غرباً ام شرقاً ام الى الصناعات ومصر لا تحتمل ان تكون لها صناعة قيمة اذا هي جدت في هذا السبيل بل ان كل ما يمكن ان يتوافر له هو الصناعات الصغيرة . فيجري النيل هو هو طريق الرزق بقوة التفاوت الذي لا تشعر به الامم كان يتفيض

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الخطر خطيرة النتائج على مصر والسودان معا لانها تتضمن في طياتها شرا كبيرا قوامه « فرق تسد »

ابن اسوان الى وقلته وهكذا صعودا وابن قنا الى اسوان و يلحق به في قنا ابو جرجا وهكذا حتى منبع النيل

فهل جعل حلفا حدا فاصلا بين مصر والسودان فقد جمع مصر و مصريين مسجونين في واد ضيق وجعلهم عبيدا خاضعين لمن بيده منبع النيل

بل جعله ماهو اكثر شانا واشد خطرا بجعله القطرين منفصلين فيما عدا بين الاخوين من عدة تدعو الى النفور والشحناء والبغضاء كما ترى الان من الدعوة التي تنشر ومن الوسائل التي تعدو تتخذ . واذا كان الانكليز — كما قلنا امس — قد ظهروا منذ عهد اسماعيل ان ما يحتوره تجاره الان فاطلق المستخدمون المصريون منهم اسم ملكتهم والامير زوجها على منابع النيل ليرسخ في التاريخ وليرسخ في اذهان ابنائهم ان تلك المنابع لهم لانها تسمى باسماء ملوكهم وامرائهم . فكم يكون واجبا علينا ولازما علينا ان نعمل على الاقل عملهم في ابقاء صلة الاتحاد والاخاء بيننا و بين اخواننا الذين ابوا على عهد الخديوي سعيد باشا ان يحمل الجنود المصرية عن ارضهم وان يستعيد الخديوي عماله من ارضهم فكانوا بعيدي النظر وقاموا على سياسة الاخاء بل على احدث سياسة يجب الاخذ بها وهذه السياسة يجب ان تكون سياستنا اي سياسة الوحدة والاتحاد مع اخواننا بالسودان لا سياسة « ضمانة المياه » التي يتغنون بها الان وهي شديدة

يقولون ان بين مصر واخواتها عهداً وميثاقا ابرم سنة ١٨٩٩ فهذا العهد والميثاق عليهما احسن تعليق ولبس لجنة الدستور مستشهداً باقوال اللورد كرومر الذي وضع ذلك الاتفاق فلم يقل اللورد واضع الاتفاق انه يلزم مصر في ملكية السودان او بالاحرى في ان السودان و مصر واحد بل قال ان الفرق الوحيد من ذلك الاتفاق هو الخيلولة دون تسجب الامتيازات على السودان، فاذا كانت لانكلترا منافع في السودان فان المصريين لا ينكرونها وهم يحترمون تلك المنافع والمرافق كل الاحترام واما الملكية واما فصل السودان عن مصر فصلا يؤدي في المستقبل حتما الى النزاع والخصام فانه لا يشعر به مصري مهما كان الامر فهو في رأس برنامج كل حزب من الاحزاب المصرية وهو مطبوع على قلب كل مصري كبيرا كان او صغيرا الا الذين كفت مصيرهم فلا يرون عدهم وهم عائشون ليومهم وهؤلاء لا يؤخذ بقولهم ولا برأيهم في مصير امتهم او مستقبلها

***

اذا كان الانكليز و مصريون فريقين مختلفي الغاية والغرض في السودان كان الفريق الطامع بذلك الملك الشاسع وهو الفريق الانكليزي يعمل والقوة تؤيده لتنفيذ طمعه. اما الفريق الثاني صاحب الحق وهو الفريق المصري فانه يكاد ينام وما عميقاً مستنداً الى حقه فقط. وقد قال السياسيون ان الحق قد تخلفه القوة وقد تستميله اليها وقال الاجنبيون. ما مات حق من ورائه مطالب. ومعنى قولهم ان كل حق لا يطالب به قد يموت

الأهرام

يعملون ولا يكلون وهم يستمدون في عملهم على حلق فكرة الانفصال وتقويمها وانمائها في نفوس السودانيين انفسهم وبتصوير المصريين للسودانيين تصويراً ينفرهم منا ويبعدهم عنا

فهلا رشد نفر منا فهب لزيادة احكام الروابط والاخاء والمحبة والولاء بين مصر والسودان حتى لا نجد الذرة الفاسدة مكاناً من انفسهم وقلوبهم . وهلا قام نفر منا مختص بالدعاية السودانية فوق برامج الاحزاب وا كثر من مباحث الصحف والاقلام حمناً بمدحين

لقد عابوا على الامير الكبير عمر طوسون قوله في بعض رسائله ان لم نحكم السودان فليحكمنا السودانيون

وما كان في هذا القول عيبا ولا عاراً اذا كان الغرض منه ان تكون الامتان امة واحدة ومتى كانت وذلك لا يسأل فيهما من هو الحاكم ومن هو المحكوم. الا ان من السودانيين ابطالا في خدمة القضية المصرية وابطالا واصلين في سبيل الاستقلال والفتح المصري لا يمحى اثرهم من تاريخ مصر الخالدة فكيف تتناسى مصر وكيف تنسى دماءهم التي سفكت كرما وجوداً في سبيل مصر واستقلالها ووسيع سلطانها وتوطيد اركانها

ان بين السودان ومصر من اواصر النسب ووشائج القربى مالا يقبل انفصالا ولا فكا

ان بينه وبين مصر افخاذ القبائل والعشائر واللغة والدين

ان بينهما روابط المنفعة الادبية والمادية فاذا عملت مصر وعمل المصريون لاحكام هذه الروابط، روابط الاخاء والمحبة والقربى ثم المنفعة، فقد عملت كل شيء يدفع عنها وعن السودان الغير ويثمر الخير ويحقق الآمال في كل مصير ومآل فاين العاملون ؟؟

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية